النزعة التفاؤلية بين إبداع الفكر الإسلامي وإتباع الفكر الغربي الحديث

إعداد

أ.د عبد القادر عبد القادر البحراوي
استاذ قسم الفلسفة
بكلية الآداب – جامعة بنها

أ.م د . رشا محمود رجب
استاذ الفلسفة الاسلامية المساعد
بكلية الآداب – جامعة دمنهور

أ.دينا السيد أحمد محمد
باحثة ماجستير في قسم الفلسفة
كلية الاداب – جامعة دمنهور

دورية الإنسانيات - كلية الآداب - جامعه دمنهور -
العدد (65)- الجزء الثالث -2025

النزعة التفاؤلية بين إبداع الفكر الإسلامي وإتباع الفكر الغربي الحديث

أ.د عبد القادر عبد القادر البحراوي
أ.م د . رشا محمود رجب
أ.دينا السيد أحمد محمد

تمهيد

يتناول هذا البحث إشكالية النزعة التفاؤلية في الفكر الإسلامي باعتباره (مصدر الإبداع) وانعكاساتها علي الفكر الغربي الحديث باعتباره (مصدر الإتباع) فقد حاولت الباحثة أن توضح حقيقة النزعة التفاؤلية بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث , وأن توضح أثر وانعكاس الرؤية الإسلامية علي فلاسفة الفكر الغربي , متسلحة بالموضوعية – قدر المستطاع – معترفة بصعوبة الأمر منذ البداية خاصة في العلوم الإنسانية , وذلك لأن الباحث في هذه العلوم لا يستطيع أن يتجرد من ميوله ورغباته الخاصة أثناء عملية البحث .

وهكذا تتسرب عناصر الذاتية إلى ساحة بحوثه وتتداخل معارفه السابقة مع المعارف العلمية التي يتوصل لها بآرائه الخاصة . لذلك ستحاول الباحثة – بإذن الله تعالي – أن تعقد هنا المقارنات الواضحة , بين مدي التقارب في النزعة التفاؤلية بين الفكر الإسلامي , والفكر الغربي الحديث ممثلًا في ليبنتز . مشيرة إلي الدراسة القيمة المعنونة : الثيوديسيا فى فلسفة ليبنتز دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الإسلامي حيث تم تناولها في دراسات علمية لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . (1) ومن هنا تتناول الباحثة أولي أفكار هذا الفصل وهو العناية الإلهية عند المعتزلة كنموذج للفكر الإسلامي المُبدع وذلك علي النحو التالي :

أولًا : العناية الإلهية عند المعتزلة .

علاقة الله بالإنسان عند المعتزلة تعطي تفاؤلا للإنسان , حيث يقولون في عناية الله بالإنسان وبمصيره , هذه العناية الإلهية ترجع إلى أصل العدل الإلهي عندهم , ويترتب على أصل العدل الإلهي عند المعتزلة قولهم بوجوب اللطف الإلهي على الله كل هذه الأمور هي من العناية الإلهية (2)

---

(1) عزة سيد عزوز محمد : الثيوديسيا في فلسفة ليبنتز دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الإسلامي ، حولية مرجع سابق , حيث تم تناولها من ص ص 1029 – 1046 .

(2) أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص260 .

" إن موقف المعتزلة من قضايا الألوهية يعني التنزيه المطلق للصفات الإلهية عن أن تتعلق بوجود الشر في العالم , إنما يصيب الإنسان من نوازل القضاء والقدر مما يسمى في عرف الإنسان شرا , لا يطلق عليه المعتزلة اسم الشر إلا على سبيل التجاوز في الاستعمال اللغوي فقط ؛ لأن هذه الأمور لا تسمى في عرف الشارع شرا , وإنما هي : بلاء , وابتلاء , ومحنة ولم يسمها الإنسان شرًا إلا ؛ لأنها لم توافق هوي عنده , وليس كل ما تعارف الإنسان عليه يكون صوابًا في نظر الشارع" (3)

" يرى المعتزلة أنه إذا كان الله قد خلق الإنسان لعبادته , فإنه يجب عليه أن يعني بعبده فيهبه القدرة والاستطاعة على الفعل , ويمكنه من ذلك بالوسائل والأدوات المناسبة , ويروا أنه يجب على الله أن يلطف بالإنسان , ويزيح عنه العلل والموانع التي من شأنها أن تعوق المكلف عن فعله . والوجوب الذي تقول به المعتزلة ينبغي أن يفهم أنه ليس إيجابًا على الله من خارج , وإنما هو من باب قوله تعالي : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (4) فذاك من مقتضى عدله ولطفه بعباده وليس إيجابًا عليه من خارج ذاته " [5]

ولم يكتفي المعتزلة بالوقوف عند هذا الحد في بيان علاقة الجانب الإلهي بالإنسان وتحديد مصائر أموره دنيًا ودينًا , فإذا كان الله لا يريد الشر , ولا يقضيه فإن ذلك قد يفهم منه أن هناك موقفًا سلبيًا من الله تجاه الإنسان وتجاه مصيره , أو قد يفهم من ذلك أن الله لا يعين الإنسان , أو لا يوجهه نحو الخير , أو يتخلى عنه , ويدعه فريسة لأهوائه , ولكن الحقيقة غير ذلك تمامًا عند المعتزلة فإن هناك نزعة تفاؤلية تسود مذهبهم الكلامي كله , نحو علاقة الله بالإنسان , كما أن هناك نوعًا من العناية الإلهية بالإنسان ومصيره , تتمثل هذه النزعة التفاؤلية في مجموعه المبادئ العامة التي عرض لها المعتزلة بالتفصيل في كتبهم في قولهم : باللطف , والصلاح , والأصلح , والعوض , والتكليف (6)

ثانيًا : اللطف عند المعتزلة (قمة التفاؤل)

---

(3) محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , دار قباء الحديثة , القاهرة , 2010 , ص 329 .

(4) سورة الأنعام : من الآية 54 .

(5) أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص 329 .

(6) محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 329 .

اللطف في مقابل الأصلح . إن لم تتم أفعال الله طبقًا للصلاح والأصلح فإنها تتم طبقًا للطف والألطاف . واللطف أكثر قبولًا من الأصلح ؛ لأنه لا يتضمن صفة الإجبار كالأصلح ، بل يوحي باللطف والتفضل والكرم والجود , وقد يدخل اللطف في مسألة الأصلح للتخفيف عن الآلام , فاللطف هو الأساس والأصلح والآلام فروعٌ مبنية عليه . وقد يدخل اللطف أيضًا في موضوع حرية الأفعال في أفعال الشعور الداخلية مثل التوفيق والهداية والسداد والعصمة ، ومِنْ ثَمَّ فهو عود إلى الشق الأوَّل من العدل ألا وهو خلق الأفعال , وكأن الحسن والقبح العقليَّين يميلان من جديد إلى الحرية ، وأنه من مقتضيات العقل أن يكون الإنسان حرًّا . اللطف أو المصلحة لحظة اختيار الإنسان الواجب , أو تجنب التخلي عن الواجب . (7)

ويتابع الدكتور حسن حفي : " فاللطف لا يبعد عن التوفيق والسداد ، وبالتالي يدخل في حرية أفعال الشعور الداخلية . ويدخل في باب التكليف في مسألة الجبر والاختيار لإفساح المجال في الإرادة الإنسانية لإظهار عواملَ مقويةٍ لها . وبالتالي تثبت الحرية مرتين ، مرة منبثقة عن التوحيد ، وذلك باستقلال الإرادة الإنسانية عن الإرادة الإلهية ، ومرةً أخرى باكتشاف العقل وأن حرية الإنسان حسنٌ عقلي , وبالتالي فهي واجبٌ عقلي كذلك .

قد يقترب اللطف من الجبر إذا كان تدخلًا ابتداءً وقد يقرب من الكسب إن كان ما يقرب الإنسان على الطاعة وما يبعده عن المعصية ، وقد يكون أكثر اتفاقًا مع الحرية لأنه ليس تدخلًا حتميًّا في إرادة الإنسان مثل فعل الأصلح ، بل مجرد جواز أو إمكان يدل على الفعل الحر . وفي كل الأحوال يكون اللطف أحد مسائل العدل الذي يجمع بين شقَّيه الرئيسَين ، الحرية والعقل . وقد يكون اللطف أيضًا أحد الأدلة على إثبات النبوة ، أي يكون داخلًا في السمعيات ، فقد آلت العقليات على الانتهاء وشارفت السمعيات على الظهور ، النبوة لطف إذا كان العقل أساس النقل وبالتالي تصبح جزءًا من المعارف العقلية المستقلة عن النبوات .

والحقيقة أن اللطف لا يدخل في مسألةٍ معينة بل هو تصورٌ عام للحياة الإنسانية المغلفة بالوجود المطلق القادر العالم الحي . هو تعبير عن العناية التي تفرضها الحياة الكاملة في الحياة الإنسانية . هو تأييد للعقل بالنبوة ، وتأييد للحرية بالعون ، وتهيئة

(7) حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة (٣) : العَدل , مؤسسة هنداوي , 1988 , ص 463 .

الأصلح واستبعاد الفساد . هو تأييد للعمل بتهيئة النظر وإحضار البواعث ، والإنسان من قبلُ على ثقة ويقين من أنه يعيش في أفضل العوالم الممكنة . " (8)

يرى المعتزلة أنه إذا كان الله قد خلق الإنسان لعبادته فإنه يجب عليه أن يعني بعبده فيهبه القدرة والاستطاعة على الفعل , ويمكنه من ذلك بالوسائل والأدوات المناسبة , كما يرى المعتزلة أنه يجب على الله أن يلطف بالإنسان ويزيح عنه العلل والموانع التي من شأنها أن تعوق المكلف عن فعله , ولابد لنا من وقفة مناسبة مع كل مبدأ من هذه المبادئ التي تتمثل في رأينا بنظرية متكاملة في العناية الإلهية بالإنسان . (9)

ويقصد باللطف الإلهي عند المعتزلة نوع التيسير والعون , أو التوفيق للعبد بتهيئة الجو المناسب نفسيًا وخارجيًا لمساعده العبد المكلف ليفعل الخير ويترك الشر . (10) ومن ناحية أخرى تأتي نظرية المعتزلة في اللطف الإلهي مكمله لأرائهم في تفسير الشر الميتافيزيقي والطبيعي , أو المصائب والآلام التي تتم بإرادة الله فتنة للإنسان ولكن العناية الإلهية تأبى إلا الهداية له واللطف . (11)

فالله تعالى قد كلف العبد بطاعته ليثاب على ما يلحقه من مشقة في إتيان الطاعة واجتناب المعصية ولطف له في ذلك بوسائل الترغيب المختلفة والمتعددة حسب تعدد الطبيعة البشرية كما رهبه من معاصيه بالوسائل المناسبة كذلك . (12)

واللطف الإلهي لازم عن التكليف أنه تعالى إذا جعل المكلف على الأوصاف التي معها لابد من أن يكلفه وإذا جعله حرًا مختارًا يقدم على الفعل , أو يمتنع عنه وإذا غرس فيه من الطبائع والشهوة ما يجعل التكليف مصحوبًا بالكد والمشقة وهو إذ أراد بتكليفه أن يعرضه للمنفعة , فلابد من اللطف كي يتم الأمر الذي قصده , وهكذا يجري اللطف مجرى

---

(8) حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة (٣) : العَدل , مرجع سابق , ص 464 .

(9) محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 330 .

(10) المرجع السابق , ص 330 .

(11) أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص 261 .

(12) محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 330 .

سائر وجوه التمكين , وإلا كان ذلك ناقضًا للتكليف مؤثرًا في حكمه المكلف , فالقول باللطف يقتضيه القول بالعدل ويشهد بصحته العقل . (13)

كما تساءلوا حول درجة وجوب هذا اللطف على الله , وهل هو واجب عليه , أم هو تفضل منه سبحانه , فالله قد كلف العبد بالطاعة فيجب عليه أن ييسر له الأسباب التي تجعله اقرب إلى فعل ما كلف به من الطاعات , ويستعمل المعتزلة لفظ واجب هنا بمعنى خاص , فهو ليس الواجب الذي يفرض على المرء من سلطه أعلى منه , ولابد له من تنفيذه , وإنما هو واجب التزامي وليس إلزاميًا فهو التزام من الله بمقتضى حكمته وعدله , وليس إلزامًا له من خارج ذاته , هو سبحانه وتعالى يفعل ذلك اختيارًا منه وتفضلًا به على العباد , ولقد أخطا معظم الذين عارضوا المعتزلة بسبب استعمالهم لفظ واجب في حق ذالله تعالى , حيث لم يفهموا مقصود المعتزلة منه , ولا مفهومه عندهم فظنوا أن معنى الواجب عندهم كما نستعمله نحن فيما بيننا , من ضرورة وجود سلطه ملزمة بهذا الواجب , ولذا فقد بني جميع من عارضهم في ذلك رأيه على فهم خاطئ لتصور معنى الواجب عندهم .

ذلك تحليل للطف الإلهي يستند إلى نظره مثالية في الأخلاق , من حيث أن إيمان المكلف وصلاحه يرتهن بحرية إرادته من ناحية , ولا يتوقف على شرك غيره , أو فساده من ناحية أخرى , فالحكمة الإلهية تأبى كل تصرف نفعي يبرر الواسطة في الغاية , وتجعل هداية أقوام مشروطًا بضلال آخرين , فالهداية بإرسال الرسل ككل القيم الأخلاقية مطلقه لدى المعتزلة ولا ترتهن بأي شرط إلا بحرية إرادة الإنسان , فترى المعتزلة أن الله لم يدخر عن عبادي شيء من اللطف كان عنده يؤمن من لا يزال كافرًا , أو يعدل به بعض المكلفين عن طريق الرشد , قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (14) فذلك يدل على أنهم لو آمنوا عنده وعند غيره لفعله لا محالة , ولا يدل قوله تعالي : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (15) على ما ينقض صدر الآية لأنه قد بين أنه لو كان لهم لطف على وجه الاختيار لفعله , لكنه قد علم أنهم لا يؤمنون عند شيء البته عند هذا الحد , إلا أن يشاء الله , حملهم عليه وإلجاءهم إليه ولكن لا يقع لهم في هذا

(13) أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص 261 .

14() سورة الأنعام : الآية 111 .

15() سورة الأنعام : الآية 111 .

الإيمان لزوال التكليف عنده , ولخروج عن وجه يستحق به الثواب ومن ثم فإنه لا يفعله . (16)

رأي المعتزلة في حسن الآلام , أو قبحها يرجع إلى رأيهم في مسألة الحسن والقبح في الأفعال بشكل عام , فالآلام أفعال وهي تحسن لوجوه وتقبح لوجوه , ووجه حسن الآلام هو حصول نفعه , أو دفع ضرر أعظم من الألم , أو استحقاق لهذا الألم , فهذه الوجوه محسنه للآلام لو اختفت هذه الوجوه المحسنة كان الألم قبيحًا , وفيما يتعلق بحصول النفع , أو الضرر فإن العلم , أو اليقين بهما ليس شرطًا بل يكفي الظن في ذلك بخلاف الاستحقاق الذي يشترط فيه العلم ولا يكفي فيه الظن , جاء في شرح الأصول الخمسة : " فحصل من ذلك أن الألم متى حصل على وجه من هذه الوجوه التي ذكرناها حسنا لا محالة , ومتى خرج عن هذه الوجوه لم يحسن , بل يكون قبيحًا ولسنا نجعل الوجه في حسنه حصول النفع ودفع الضرر على كل حال , بل إن حصل ذلك فهو الوجه في حسنه , وإن لم يحصل فإن ظن ذلك يكون وجهًا في حسنه , والدليل عليه أن أحدنا يحسن منه تكليف المشاق وتحمل الأسفار طلبًا للعلوم والآداب وغير ذلك مع أنها كلها مظنونة , وكذلك فقد يحسن منه القصد وإن لم يقطع على أنه يندفع به ضرر عنه , فإذن إنما يحسن منه ذلك الظن . " (17)

ويفترق معنى اللطف عندهم عن معنى التمكين ؛ لأن التمكين قد يكون تمكينًا من فعل الخير , كما يكون تمكينًا من فعل الشر , أما اللطف فلا يكون تمكينًا , إلا من فعل الخير فقط , ويستدل المعتزل على رأيهم في اللطف بكثير من الآيات التي تتحدث عن فضل الله ورحمته بعباده مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾(18) وهو سبحانه لم يفعل ذلك , حتى لا يكون الناس أمة واحدة على الكفر , لأن عدم وقوع الفعل الذي تعلقت به المشيئة دليل على وقوع خلافه الذي هو لطف للمكلفين . (19)

---

(16) أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص 266 .

(17) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة , تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم , تحقيق عبد الكريم عثمان , مكتبة وهبه , القاهرة , 1965 , ص 133 .

(18) سورة آل عمران : الآية 174 .

(19) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة , مصدر سابق , ص 133 .

" وقد اعتبر المعتزلة كثيرًا من الأفعال الإلهية والأوامر التكليفية مظهرًا من مظاهر اللطف الإلهي بالمكلفين , لأن هذه الأفعال والأوامر قد رعي فيها معنى المصلحة والحكمة فهي لا تكون إلا لغاية حميدة , أو وسيلة لغاية أحب إليه من غيره , فمن ذلك مثلًا , أن إقامة الحدود تعتبر لطفًا , لأن المكلف يكون عندها أقرب إلى فعل الواجب وترك المحرم , باعتبار الحالة التي يكون عليها وقت إقامة الحد عليه والمعارف تعتبر لطفًا لأنها تؤدي بالعارف إلى اعتبار الأمور ببعضها , فهي وسيلة إلى ترك المحظور وفعل المأمور " (20)

ثالثًا : أدلة المعتزلة على وجوب اللطف ومصدره .

1 – الأدلة العقلية علي وجوب اللطف عند المعتزلة :

الدليل الأول : إن اللطف لازم لحصول الثواب أو العقاب ، ولذلك فهو حسن من الله تعالى ، والمكلِّف وهو الله تعالى يلزمه أن يلطف بالمكلَّف وهو العبد حتى يعرضه للمنفعة ، وليتم للمكلَّف قصده وغرضه ، يقول القاضي عبد الجبار : إن المكلِّف يلزمه للتكليف السابق أن يلطف للمكلَّف ، كما يلزمه أن يقدره ويمكنه . وهذه القاعدة هنا غير مسلمة ؛ لأن الوجوب المفروض على المكلف هنا مشروط بكونه مقدورًا له (21) قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ (22)

الدليل الثاني : إن منع اللطف تحصيل للمعصية أو تقريب منها ، وكلاهما قبيح ويجب تركه . (23) وقد رد التفتازاني على هذا الدليل بجواز أن يكون منع اللطف لفائدة أكبر منها ، كما جاء في قصة الراهب الذي ترك إجابة نداء أمه ليؤدي بعض النوافل وظن أن هذه الطاعة أفضل من طاعة إجابة نداء الوالدين فكان أن دعت عليه أمه واستجاب الله تعالى لدعائها فمنع الله إجابته لنداء أمه لحصول فائدة أكبر وهي تعريفه بفضل طاعة

20() محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 332 .

(21) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، مصدر سابق , ص 38 .

(22) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(23) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، مصدر سابق , ص 18 .

الوالدين (24) من جهة أخرى فإن المنع من الطاعة لا يعني بالضرورة الإغراء بالمعصية أو التحريض عليها أو التقريب منها ، لجواز أن يمنع من الطاعة ولا يفعل المعصية . (25)

الدليل الثالث : إن منع اللطف نقض لغرض المكلِّف الذي هو الإتيان بالمأمور ، ونقض الغرض قبيح

يقول القاضي عبد الجبار : " فالذي يدل على صحة ما اخترناه من المذهب ، هو أنه تعالى إذا كلف المكلف وكان غرضه بذلك تعريضه إلى درجة الثواب ، وعلم أن في مقدوره ما لو فعل به لاختار عنده الواجب . واجتنب القبيح ، فلا بد من أن يفعل به ذلك الفعل ، وإلا عاد بالنقض على غرضه . (26) والقاضي هنا يشير إلى لطفه تعالى في إرساله رسله وما في ذلك من تقريبه عباده للطاعة ودرجات الثواب

2 – الأدلة النقلية علي وجوب اللطف عند المعتزلة :

1 – قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (27)

2 – قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (28)

3 – قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (29)

4 – قوله تعالى :﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (30)

---

(24) سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شرف , ط 1 , منشورات الشريف الرضي , ١٩٨٩ م ، ص 161 .

(25) أحمد محمد البناني : تنزيه الله عما أوجبه عليه المعتزلة ، رسالة دكتوراه ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣ هـ – ١٤٠٤ هـ ، ص ص 170 – 171 .

(26) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، مصدر سابق , ص 521 .

(27) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(28) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(29) سورة هود : الآية ١١٨ .

(30) سورة الأنعام : الآية ١٤٩ .

ووجه الدلالة من كل هذه الآيات إثبات المشيئة العامة والاختيار المطلق لله عز وجل ، فهو يفعل بمقتضى مشيئته واختياره ولا يجب عليه شيء . وقد حدد الدكتور عصام السيد عبد الرحيم أدلة المعتزلة في العناصر التالية : (31)

الدليل الأول : إذا كان التمكين من الفعل واجبًا لا يتم الغرض من التكليف بدونهم بل يبطل التكليف بدونه فكذلك الدواعي الزائدة على التمكين المؤثرة في الإيثار والاختيار في منزله التمكين .

الدليل الثاني : إن اللطف لازم لإزاحة عله المكلف مع التكليف .

الدليل الثالث : إن اللطف لازم لحصول الثواب والعقاب , ولذلك فهو حسن من الله تعالى والمكلف وهو الله تعالى يلزمه أن يلطف بالمكلف وهو العبد حتى يعرضه للمنفعة وليحصل للمكلف قصده وغرضه .

الدليل الرابع : إن منع اللطف نقض لغرض المكلف الذي هو الإتيان بالفعل ونقد الغرض قبيح .

الدليل الخامس : إن عدم اللطف في استفساد للعبد في اللطف كالطريق إلى استجلاب المنفعة ودفع المضرة فمنعه على العكس من ذلك .

أمَّا مصدر اللطف عند حسن حنفي : " فقد يكون من فعل الله أو من غير فعل الله . قد يكون من فعلنا , أو من فعل غيرنا . إن كان من فعلنا وجب فعله احترازًا من الضرر دون النوافل؛ لأنه لا يحدث ضرر من عدم فعلها. ما يكون من فعل الله إن كان مفعولًا مع تكليف الفعل الذي هو لطف فيه، فإنه لا يكون واجبًا، وما يفعله بعد حال تكليف الفعل الذي هو لطف فيه فإنه واجب . وما يكون لطفًا من فعل نفس المكلف فمن حقه إذا كان لطفًا في واجب أن يكون بمنزلته في الوجوب ، وإن كان لطفًا في النفل فهو بمنزلته . وما يكون لطفًا من فعل غير الله وغير المكلف فمن حقه أن يكون المعلوم من حاله أن يقع ويحدث على الوجه الذي هو لطف وفي الوقت . مصادر اللطف إذن ثلاثة : الله , والإنسان , والطبيعة . لطف الله غير واجب قبل الفعل وإلا استحالت الحرية ، وواجب بعده تأييدًا له . ولطف الإنسان مثل الفعل وجوبًا وندبًا . أمَّا لطف الطبيعة فإنه يقع في الزمان والمكان والحال وليس على الإنسان إلا معرفته وتوحد فعله معه . " (32)

---

(31) عصام السيد محمود عبد الرحيم : اللطف الإلهي عند المعتزلة عرض ونقد , مجلة الدراسات العقدية , المملكة العربية السعودية , بدون تاريخ , ص ص 397 – 399 .

32() حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة (٣) : العدل , مرجع سابق , ص ص 466 –467 .

ويتابع الدكتور حسن حنفي فيقول : " أمَّا بالنسبة إلى محل اللطف فقد يقع اللطف في الفعل أو في إدراك الفعل ، أي إن اللطف يكون في العمل كما يكون في النظر . ولا يكون اللطف إلا في أفعال التكليف ، أي في الواجبات . وقد يكون اللطف في النوافل . ولا يجوز اللطف في المباح لأن المباح غير مكلف . وإذا كانت أفعال المكلفين على ضربين ، العبادات وخارج العبادات ، فإن الأولى لا يجوز فيها البدل بينما الثانية يجوز فيها البدل . وقد تكون إقامة الحد من الإمام لطفًا إمَّا له أو لغيره ، وتضيع الألطاف بفقدان الإمام وإبطال الحدود في هذا الزمان ؛ لذلك قد يكون اللطف مشروطًا بوقت دون وقت ، ويقع في زمان دون زمان . ولا يكون اللطف فرديًّا بل عامًّا ، لا يكون خاصًّا بل شاملًا . لا يوجد لطف لشخص يكون مفسدة لشخصٍ آخر، اللطف صلاح للجميع. اللطف عامٌّ متاح للجميع ، ولكنه قد يقع لشخص دون شخص طبقًا لشروط الفعل والقدرة عليه . يؤدي اللطف إلى وقوع المصلحة للذات وللآخرين على السواء . ولا يكون اللطف نظرًا عامًّا لا نهائيًّا ، بل هو خاصٌّ محددٌ معينٌ فرديٌّ متحقق في الفعل " (33.)

3- شروط اللطف .

الأول : ما يكون من فعل الله تعالى ، فالله هو اللطيف بعباده حيث يرى بعضهم أن اللطف لا يكون إلا من الله تعالى . واشترطوا في مثل هذا الفعل حتى يكون لطفًا شروطًا خاصة ، منها ما يتعلق بوقته ، ومنها ما يتعلق بعلم المكلف به (أي اللطف) ومنها ما يرجع إلى الحسن والقبح إلى غير ذلك ، فلا يكون الفعل منه تعالى لطفًا واجبًا إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية : (34)

1 – أن يكون متأخرا عن التكليف الذي هو لطف فيه , فلا يسمى فعله تعالى قبل التكليف لطفًا , لأنه لم يجب بعد , وكذلك ما يفعله تعالى مع تكليف الفعل .

2- أن يكون الفعل الذي هو لطف معلومًا لمن هو لطف له قبل إيجاده الفعل , أو أن يكون ممكنًا من أن يعلمه وإنما يؤتى في أن لا يعلمه من سوء اختياره .

3 – أن يكون بينه وبين الفعل الذي هو لطف فيه تعلق ومناسبة حتى يكون لطفًا فيه أولى من أن يكون لطفًا في غيره .

4 – أن لا يكون إلا حسنًا ؛ لأنه إذا كان لابد من أن يفعله تعالى , فإنه يجب أن تنتفي عنه صفة القبح التي لا تثبت في أفعاله تعالى .

---

(33) حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة (٣) : العَدل , مرجع سابق , ص ص

(34) عصام السيد محمود عبد الرحيم : اللطف الإلهي عند المعتزلة عرض ونقد , مرجع سابق , ص 384 .

5 – أن يكون متميزًا من وجوه التمكين , فلا يكون له مدخل في التمكين به مما هو لطف فيه وإنما يكون له حظ الدواعي إلى إيثاره على غيره .

6 – أن يقدم حال الفعل بوقت واحد , يتضح كونه داعيًا إليه فأما تقدمه بأوقات كثيرة فقد وقع فيه خلاف

7– أن لا يكون مضمنًا أو مستقبلًا لحال الفعل , بل يجب أن يكون حاصلًا أو في حكم الحاصل قبل حال وجوده .

الثاني : ما يكون من فعل نفس المكلف ، فإن بعض المعتزلة يرى أن العبد يمكن أن يلطف لنفسه فيما هو مكلف به من الله تعالى ، وذلك مثل : من أراد طاعة كالصلاة يمكنه أن يفعل أفعالًا أخرى تقربه وتدعوه إلى أداء الصلاة ، كالذهاب إلى المسجد ومصاحبة الأتقياء ونحو ذلك ، ولكن لا يكون واجبًا إلا

للطف الذي هو من الله تعالى ، ولكنه يمكن أن يكون واجبًا في الواجبات مندوبًا في المندوبات .

الثالث : ما يكون من غير فعل الله تعالى وغير فعل المكلف ، وذلك كأن يكون في معلوم الله تعالى أن رزق إنسان إذا اتسع عليه كان أقرب إلى الطاعة ، فيوسع عليه الرزق ، ثم قد يكون ذلك بهبة أو وصية وهما من فعل العبد ، ويمكن أن يحصل ذلك بالتنبيه والوعظ والتذكير وغير ذلك من أفعال العباد . (35)

رابعًا : الصلاح والأصلح .

من أهم الأسس التي تقوم عليها نظريه المعتزلة في العناية الإلهية قولهم بالصلاح والأصلح , ويعرف المعتزلة الصلاح بأنه النفع , فكل ما علم نفعًا علم صلاحًا وما لم يعلم نفعًا لم يعلم كونه صلاحًا والنفع والصلاح لا يكونان إلا لمن ينتفع بهما كالأحياء مثلا , فلا نفع ولا صلاح للجماد , أو الميت كما لا يستعمل الصلاح في حقه تعالى وإنما يضاف الصلاح إلى من يصلح به (36) كما يضاف النفع إلى من ينتفع به , فالصلاح ضد الفساد , وكل ما خلى من الفساد فهو صلاح . (37)

---

(35) القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة , بدون تاريخ , ص ص27 – 29 .

(36) عصام السيد محمود عبد الرحيم : اللطف الإلهي عند المعتزلة عرض ونقد , مرجع سابق , ص 266 .

(37) محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 338 .

وقد يجول بخاطر المرء عن الأصلح للعبد أن يرعاه الله ويحمله على الإيمان والطاعة قهرًا , كما رزقه بغير اختياره , وأوجده بغير اختياره , وكلفه بغير اختياره , ولكن ينبغي أن يعلم أن هناك فرقًا كبيرًا بين الأمرين , فإن الصلاح في باب الدنيا يرجع إلى فعله تعالى فقط نحو الخلق والرزق والشهوة واللذة وما أدى إليها , وكل ما هذا شأنه فلا قدر منه إلا وهو تعالى موصوف بالقدرة عليه , وعلى أكثر منه أما الصلاح في باب الدين , فلا يكفي فيه ما يفعله تعالى بالمكلف دون فعل المكلف نفسه واختياره للطاعة , والصلاح ولو انفرد فعله تعالى عن اختيار العبد لم يكن ذلك صلاحًا له , وإنما هو استصلاح ولو فعل ذلك به فلا يكون هناك للتكليف معنى , ولا للثواب والعقاب فائدة . (38)

ترى المعتزلة أن كل ما يظهر عن الله فبمقتضى حكمته , فالله لا يفعل فعلًا إلا لحكمه , ولا يخلو فعل من أفعاله من صلاح , وكل ما في الكون لابد أن يكون موصولًا إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة , وإذا كانت الموجودات قد وجدت من أجل الإنسان فإن الإنسان ذاته لم يخلق سدى وإنما التكليف غاية الخلق (39) يقول تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ ﴾ (40)

خامسًا : التكليف .

إذا كان الله عز وجل قد كلف الإنسان لمنفعته لتعويضه للثواب وذلك بإلزامه ما فيه مشقه فقد رأى المعتزلة أنه يجب على الله تعالى أن يقوي دواعي المكلف إلى إيجاد الفعل على وجه لا ينافي التكليف , وذلك بان يلطف به فيفعل له ما من شأنه أن يقربه من الطاعة ويبعده عن المعصية وإذا لم يفعل الله تعالى بالمكلف هذا اللطف كان عائدًا بالنقد على غرضه من التكليف .

وعناية الله بالإنسان لم يظهر أثرها في خلقه وتكليفه فقط , وإنما بدت أيضًا في إعالته على فعل ما كلف به من التمكين وخلق الأداة وإزاحة العلل والوعد بالثواب على الفعل الحسن , وليست التكاليف عندهم تجب على إطلاقها على جميع الناس بلا استثناءات لهم , فإن هناك ظروفًا قد تمنع الإنسان من فعل ما كلف به , ومن هنا وضع

---

(38) المرجع السابق , ص 347 .

39() أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وليبنتز دراسة مقارنة , مرجع سابق , ص 267 .

40() سورة القيامة : الآية ٣٦ .

المعتزل شروطًا للمكلف كما وضعوا شروطًا للفعل التكليفي نفسه , فلا يكلف الله إلا بالفعل الحسن . (41)

سادسًا : إتباع ليبنتز للمعتزلة في نظريته حول أفضل العوالم الممكنة .

لو سأل سائل لماذا اختار الله هذا العالم بالذات من بين العوالم الممكنة التي لا حصر لها , لكان سؤاله في حاجة إلى جواب إذ لابد أن يكون هناك سبب كاف لهذا الاختيار , شأنه في ذلك شأن كل شيء آخر ويعتقد ليبنتز أنه يستطيع أن يقدم الجواب فالعقل الإلهي في رأيه قد تحقق من أن عالمنا واحدًا من بين العوالم الممكنة وعالمًا واحدًا فحسب هو أفضلها جميعًا ولهذا شاءت إرادة الله أن تختار هذا العالم الأفضل تمشيها منها مع قانون الأصلح والأفضل . (42)

هكذا يصل ليبنتز إلى فكرته المشهورة عن أفضل عالم ممكن وهي الفكرة التي طالما اثني عليها البعض وسخر بها البعض الآخر مر السخرية ولقد كانت الفكرة ملائمة لذوق العصر الذي نشأت فيه مع بداية القرن الثامن عشر . (43)

" لم يكن ليبنتز بطبيعة الحال معصوب العينين عما يجتاح العالم من شرٍّ وبؤس وعذاب وموت ، ولكنه كان يعتقد أننا لن نستطيع أن نُقدِّم سببًا كافيًا يُبرِّر وجود هذا العالم ، إلا إذا كان هو أفضل عالم مُمكن . وقد يسأل سائل : ولماذا لا تبحث عن هذا السبب الكافي في إرادة لله الحرة ؟ وحرية الإرادة فكرة رحبة متعدِّدة الجوانب والأبعاد . ولا شكَّ أن إحساس ليبنتز بها — كإحساسه بالموت والشقاء البشري — كان يَفتقِر إلى النبض الإنساني ، ولكنَّه ظلَّ على كل حالٍ متَّسقًا مع فكره ومنطق مذهبه . فهو يَميل إلى جانب القانون والرياضة والمنطق . وإذا بدا لأحدٍ أن يضع الحرية في مُقابل الخضوع للقانون ، وجدناه يَميل لهذا الجانب الأخير . وما مِن شكٍّ في أنه سيَرفض أن يترك الأمر في خلق العالم أو عدم خلقه لإرادة الله ، وسيَرفض كذلك أن يترك لها الشأن في خلقه على هذا النحو أو ذاك . فمن رأيه أن الله لم يكن ليخلق غير هذا العالم الذي خلقه بالفعل . صحيح أن هناك عددًا لا يَنتهي من العوالم المختلفة المُمكنة ، ولكن يجب ألا نَنسى ما قلناه من أن الإمكان هنا يعني إمكان تصوُّرها من الناحية المنطقية ، لا من ناحية التحقُّق الفِعلي . فالعالم الموجود بالفعل هو العالم الوحيد الذي يُمكن تحقُّقه في الواقع ، بحيث لا يَختلف

41() محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , مرجع سابق , ص 351 .

42() جوتفريد فيلهلم ليبنتز : المونادولوجيا , مصدر سابق , ص 38 .

(43) نفس المصدر , نفس الصفحة .

عما هو عليه بالفعل ، وبحيث لا يَشتمِل على كلِّ ما نعرفه فيه من أفراد وأحداث . " (44)

" فليبنتز إذن يبارك كل ما هو موجود وكل ما هو واقع ، لا لسببٍ إلا لأنه ضروري ، ولأنه كان حتمًا أن يوجد على الصورة التي وجد عليها . ولا بدَّ أن القارئ قد لاحظ في هذا الرأي شيئًا من التمجيد للجانب التاريخي من الوجود . ولا بدَّ أنه لاحظ أيضًا أن الشر والألم والموت لن تكون إلا خيوطًا غريبة على نسيج التجانس والاتِّساق والانسجام الكُلي ، أو أنغامًا قليلة ناشزة في سياق اللحن الأزلي الرائع ، وربما يسأل : ألا تكون حرية الفرد مُهددة في هذا العالم الذي هو أفضل عالم مُمكن ؟ الحق أن ليبنتز يتحدَّث عن الحرية البشرية حديثًا ملؤه الدفء والإخلاص ، ولكنَّنا لو نظرنا إلى هذا الحديث في إطار المذهب العام لفقد كثيرًا من قدرته على الإقناع . ومن يدري ؟ فربما يُعزِّينا قليلًا أن حرية لله والإنسان كليهما مهدَّد بالخضوع الشامل للقانون ! . (45)

وهذا هو ما ذهبت إليه المعتزلة حيث اتفقت على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد (46) ومعنى هذا أن كل فعل من أفعال الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير . (47)

و لقد لاحظ الدكتور طه حسين التشابه بين رأي المعتزلة وليبنتز فيقول : " إن نظرية أفضل العوالم الممكنة عند ليبنتز ليس بينها وبين مذهب أصلح الممكن إلا خطوة واحدة وقد خطي المعتزلة هذه الخطوة في فترة مبكرة فإذا كان الله لا يستطيع فعل الشر ؛ لان ذلك ما تأباه طيبته وحكمته فإن الخير الذي يفعله لابد أن يكون أصلح الممكن . " (48)

سابعًا : حقيقة الحكمة من وجود الشر بين إبداع المعتزلة وإتباع ليبنتز .

---

(44) جوتفريد فيلهلم ليبنتز : المونادولوجيا , مصدر سابق , ص ص 38 – 39 .

(45) المصدر نفسه , ص 39 .

(46) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل , تحقيق أبي محمد محمد ابن فريد , ج 1 , المكتبة التوفيقية للنشر , القاهرة , بدون تاريخ , ص 66 .

(47) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : نهاية الإقدام , حرره وصححه الفرد جيوم , ج 1 , طبعة لندن , 1924 , ص 398 .

(48) طه حسين : بين المعتزلة وليبنتز , ترجمة وتقديم عبد الرشيد محمودي , جريده الأهرام , 29 أكتوبر 2014 , ص 23 .

يقرر المعتزل أن الإنسان موجد لأفعاله وأنها تحدث بقدرته , ويمكن إجمالي الأسباب التي دعتهم إلى ذلك في سببين رئيسيين :

السبب الأول : تفسير التكليف فلما ثبت عند المعتزلة من العقل والنقل أن الله عادل وليس بظلام للعبيد فلا يجازي الإنسان إلا على ما كان يستطيع أن يفعله من خير أو شر أدي ذلك إلى أن أفعال الإنسان غير مخلوقه لله تعالى , بل هي من خلق الإنسان , إذ لو كانت من خلق الله تعالى لبطل التكليف , ولكان الأمر والنهي والثواب والعقاب باطلًا وظلمًا لا يليق بالله تعالى .

والسبب الثاني : هو أنهم وجدوا أن من بين أفعال الإنسان ما هو شر وقبيح كالكفر والقتل والظلم وغيرها , فلو كانت أفعال العباد مخلوقه لله تعالى , لكان الله سبحانه فاعلًا لهذه الشرور والآثام وهو ما يتنافى مع ما ثبت لله تعالى من كونه كاملًا منزها عن فعل ما هو قبيح أو شر . (49)

بنى المعتزلة قولهم إن الإنسان موجد لأفعاله على كونها منها ما هو شر وقبيح مما يستحيل أن تنسب إلى الله سبحانه وتعالي , على أنه فاعلها على التوحيد بين الأمر والإرادة الإلهيين فما أمر الله سبحانه به فقد أراده .

فالإرادة بالنسبة لله عز وجل تساوي الأمر فما أمر الله سبحانه وبه فقد أراده , وما لم يأمر به لم يرده . فالكفر والمعاصي لا يمكن أن يريد الله سبحانه وجودها ؛ لأنه قد نهى عباده عنها وهي بالتالي تقع على خلاف مراده ؛ لان ارادة الله تعالى يجب أن تنزه عن تعلقها بالقبيح ؛ لأن إرادة القبيح كالأمر به والله سبحانه منزه عن ذلك , وعليه فكل ما يقع في الأرض من ألوان الكفر والمعاصي , يكون من فعل العبد وإرادته . (50)

" إن الله عالم بقبح القبيح غني عن فعله , من هذا التقرير الذي لا يخالف فيه أحد من المتكلمين استنتج المعتزلة أنه لا يجوز على الله فعل شيء من الشرور والقبائح ؛ لأن فاعل القبيح يجب أن يكون جاهلًا بقبح القبيح , أو محتاجًا إليه في تحقيق بعض مآربه , وكلا الأمرين لا يجوز على الله وتأكيدًا لهذا المعنى التنزيهي أول عبد الجبار ما قد يوحى بخلاف ذلك من آيات القرآن واعتبر المسئول الوحيد عن الشر إذا وجد شر في العالم هو

---

(49) عبد الحكيم بن يوسف الخليفي : مشكله الشر عند قدماء المعتزلة , مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر , العدد (15) , 1997 , ص 227 .

(50) المرجع السابق , ص 228 . وكذلك :

– أبو القاسم البلخي , القاضي عبد الجبار , الحاكم الحشيمي : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة , تحقيق فؤاد سيد , الدار التونسية للنشر , بدون تاريخ , ص 176 .

المخلوقات الحية المريدة , ولا سيما الإنسان ؛ لأن أفعاله محكومة بمبدأ الحرية أي الاستطاعة بلغة المتكلمين والحرية تمكنه من الإحسان كما تمكنه من الإساءة . (51)

وسمحت فكرة العوض للمعتزلة في التمييز بين نوعين مختلفين من الضرر : فرأوا أن من الضرر ما يكون قبيحًا وهذا لا يكون من الله البته , ومنه ما يكون حسنًا وهذا يفعله الله ولكنه لا يسمى بفعله ظالمًا , ولذلك لا يعد ما يفعله من الأمراض ضررًا من حيث يعقب نفعًا عظيمًا (العوض الاخروي) كما لا تعد الطاعات مضرة والقاعدة في تميزهم بين النوعين أن كل ضرر إذا كان مع كونه ضررًا حسنًا خرج من قسمي الشر والفساد , وعلى هذا الأساس عدوا وصف الآفة إذا لحقت الأبدان والأموال والزروع بأنها شر وفساد مجازًا . (52)

من هنا يمكن إيجاز الحكمة من وجود الشر عند المعتزلة وذلك فيما يلي :

1 – إن الشر وقود الخير ومبرر وجوده والإحساس به فعامة الشر وعامة الخير وجهان لعملة واحده لا يكون أحدهما دون الآخر .

2 – إن المكاره أسباب الخيرات قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (53)

3 – لا تظهر بعض آثار أسماء الله وصفاته إلا بخلق المتضادات والمتقابلات , ولو فقدت لتعطلت الأحكام المتعلقة بتلك الصفات وهذا محال .

4 – حب الله لان يشكر وأن يغفر فداعي الشكر تفاوت الإنعام قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (54)

5 – إشعار الإنسان بنعمه العافية فالبلاء ينبه الغافل إلى نعمة العافية وفضلها وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخرى .

---

(51) محمد بو هلال : معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة , مجلة مدارات فلسفية , العدد (13) المغرب , 2006 , ص ١٥ .

(52) محمد بو هلال : معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة , مرجع سابق , ص 16 .

(53) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

(54) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

6 – استخراج محاسن الأخلاق من الناس فالحياة الخالية من كل مشقة وضيق وبلاء , لا يمكن أن تميز الناس بأخلاقهم فيها .

7 – اختيار إيمان العبد قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (55)

8 – إلجاء الإنسان إلى التوبة قال تعالى:﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٦٨ ﴾ (56)

9 – إشعار الإنسان بحقارة الدنيا كما في قول الله سبحانه وتعالى :﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ (57)

10 – عقاب للمفسدين قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝٦ ﴾ (58)

11 – جريان السنن الطبيعية وفق سنن وترتيب فلا يوجد شر في قانون كوني إلا ويكون معه خير أعظم منه وانفع . (59)

والسؤال الآن هل كان للمعتزلة تأثير على فلاسفة الغرب ؟؟ الإجابة عن هذا السؤال نجدها عند الأستاذ آدم متز أستاذ اللغات الشرقية بجامعه بازل بسويسرا حيث يقول : " ولما كان المعتزل قد جعلوا عمدة بحثهم الكلام في ذات الله وصفاته , فلم يقتصر الأمر على أن صارت هذه المسالة أهم مسائل العقائد الإسلامية حتى اليوم بل أدى كلامهم في

---

(55) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(56) سورة الأعراف: الآية ١٦٨ .

(57) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(58) سورة الأنعام : الآية ٦ .

(59) عبد الله بن حمد الركف : الحكمة من وجود الشر , مجلة الدراسات العربية جامعة المنيا , المجلد (44) , العدد (5) , يونيو , 2021 , ص 2451 .

هذه المسالة إلى طبع الفلسفة العربية بطاقة خاص كما أن مباحثهم في هذا الموضوع كان لها أثر في مذهب سبينوزا إلى الفكر الأوروبي . " (60)

يقول قميز مفتاح الرويني : " قد يتصور قارئ عجول إن ليبنتز قد صبغ هذا المبدأ من تلقاء نفسه , ولكن القراءة المتأنية تؤكد أنه قد اقتبسه من الثقافة الإسلامية التي كانت لها الريادة وقد نقلت إلى الآخر بالطرق المختلفة من حيث أن ذلك يحمل الإنسان مسؤولية ما يصدر عنه من شر , وهو ما يعرف بالحرية الفردية وأيضًا بالمسؤولية الفردية يدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ (61) (62)

وعن ذلك يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق : " ولسنا في حاجه ... للوقوف طويلًا عند صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الأوروبية في العصر القديم والوسيط , وهناك العديد من الدراسات والبحوث في هذا الصدد ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال إغلاق باب البحث في هذا الموضوع , فلا يزال هناك مجال للبحث في كثير من القضايا المتعلقة بالصلة بين الجانبين , ولكن الحقل الذي لا يزال في حاجة إلى المزيد من الدراسات والبحوث هو مدى صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الأوروبية في العصر الحديث وقد يمكن أن يقال بصفة عامة إنه إذا كانت الفلسفة الإسلامية قد أثرت تأثيرًا حاسمًا سلبًا أو إيجابًا في الفلسفة الأوروبية الحديثة فإنه يمكن القول بأن هناك تأثيرًا غير مباشر للفلسفة الإسلامية على الفلسفة الحديثة وإن كان هذا لا يعني عدم وجود تأثير مباشر أيضًا " (63) ويؤكد : " لكن هذه دعوي ربما يراها البعض دعوي عريضة لا دليل عليها , وهذا البعض ليس فقط على الجانب الغربي , بل على الجانب الإسلامي أيضًا , وربما يكون الرفض من البعض على الجانب الإسلامي اقوي وأشد منه على الجانب الغربي . " (64)

ثم يتناول الدكتور محمود حمدي زقزوق الجزء الخاص بالفيلسوف ليبنتز فيقول : " ولا شك أن ليبنتز وهو الفيلسوف الواسع الاطلاع قد تعرف بشكل أو بآخر على التراث

---

(60) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام , نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده , أعد فهارسه رفعت البدراوي , المجلد (, 1) دار الكتاب العربي , ببيروت , بدون تاريخ , ص 374

(61) سورة النجم : الآية ٣٨ .

62() قمر مفتاح الرويمي : علاقة الألوهية بقضية الشر عند ليبنتز , مرجع سابق , ص 538 .

(63) محمود حمدي زقزوق : علم المقارنات الفلسفية رؤية مستقبلية , مجلة الأزهر , يصدرها مجمع البحوث الإسلامية , القاهرة , 2017 , ص 18 .

(64) المرجع نفسه , نفس الصفحة .

الفلسفي الإسلامي الذي ترجم إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده , وقد كانت وجهة نظر ليبنتز هي محاولة التوفيق بين المذاهب والاتجاهات الفلسفيات المختلفة والخروج بنسق جديد . " (65) لذلك يؤكد جعفر حسن الشكرجى : في بحثه القيم : التفاؤل والتشاؤم عند فلاسفة عصر التنوير, علي مجموعة من النقاط – تتفق الباحثة فيها علي ما جاء بمحتواها وذلك علي النحو التالي :

1 – يؤكد ليبنتز المتفائل على أن الخير أكثر من الشر في هذا العالم ، بينما رأى فولتير المتشائم العكس ، في حين يتوقف هيوم عن الحكم .

2 – سعى ليبنتز للتدليل منطقيًا على أن الشرور هي عناصر جوهرية في تركيب العالم ؛ لأن أي عالم يخلقه الله لابد أن يكون أقل كمالًا منه ، أي يتصف بالنقص ، وهذا النقص هو مصدر الشرور ، ولا يمكن أن يتفاداه الله إلا بعدم الخلق ، بينما يبرهن فولتير بالرجوع إلى العالم المحسوس على أن هذا العالم حافل بالشر.

3 – يبرر ليبنتز وجود الشر على أساس أنه أداة للخير ، بينما يدين فولتير كل المظالم التي تعاني منها البشرية .

4 – يقول ليبنتز بالعناية الإلهية ، إذ أن الله يفعل كل شيء على أفضل وجه يتمناه الإنسان ، في حين ينكر فولتير أن تكون هناك مثل هذه العناية ، ودليله في ذلك وجود الشرور ، رغم إيمانه بأن هناك إلها للكون .

5 – يذهب ليبنتز إلى أن هذا العالم هو أفضل العوالم الممكنة ، لأن أي عالم أخر قابل للوجود لابد أن يكون أسوأ منه ، بينما يوضح فولتير أنه غاية في السوء ، ولهذا طالب بتغييره نحو الأحسن . يرى ليبنتز الشر من وجهة نظر كلية ، حيث يساهم مع الخير في خلق عالم أجمل وأكمل ، في حين يؤكد فولتير أن هذه الرؤية ليس لها معنى وجهة نظر الفرد الذي يعاني من مآسي مروعة ، ولا تقدم له سلوى . (66)

تقول عزة سيد عزوز محمد في مؤلفها القيم : الثيوديسيا فى فلسفة ليبنتز دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الإسلامي : " فالحال مع ليبنتز لا يخرج عن أحد احتمالين : إما أن يكون ليبنتز قد أطلع علي الفكر الإسلامي وأخرج لنا فلسفة ممزوجة وفي هذه الحالة يكون ليبنتز ملفقًا بين المذاهب ، وليس له مذهب خاص به ، بل ما هو إلا قائم بعملية إعداد وتجميع .. ومن ثم لا يرقي إلي درجة التأليف . وإما أن يكون ليبنتز لم يطلع علي فكر

(65) المرجع نفسه , ص 51 .

(66) جعفر حسن الشكرجى : التفاؤل والتشاؤم عند فلاسفة عصر التنوير، مرجع سابق ، ص 65 .

المسلمين وهذا احتمال ضعيف ولكن نضعه في الاعتبار ، ففي هذه الحالة يصل ليبنتز إلي درجة التأليف وإن كان هذا بعيد . (67)

(67) عزة سيد عزوز محمد : الثيوديسيا فى فلسفة ليبنتز دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 1046 .

المصادر والمراجع .

١. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل , تحقيق أبي محمد محمد ابن فريد , ج 1 , المكتبة التوفيقية للنشر , القاهرة , بدون تاريخ .

٢. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : نهاية الإقدام , حرره وصححه الفرد جيوم , ج 1 , طبعة لندن , 1924 .

٣. أبو القاسم البلخي , القاضي عبد الجبار , الحاكم الحشيمي : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة , تحقيق فؤاد سيد , الدار التونسية للنشر , بدون تاريخ .

٤. أحلام إبراهيم محمد الصياد : العناية الإلهية ووجود الشر في العالم عند المعتزلة وابن سينا دراسة مقارنة , مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة , العدد (25) 2023 .

٥. أحمد محمد البناني : تنزيه الله عما أوجبه عليه المعتزلة ، رسالة دكتوراه ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣ هـ – ١٤٠٤ هـ .

٦. آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام , نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده , أعد فهارسه رفعت البدراوي , المجلد (, 1) دار الكتاب العربي , ببيروت , بدون تاريخ .

٧. جعفر حسن الشكرجي : التفاؤل والتشاؤم عند فلاسفة عصر التنوير ، مجلة لارك للفلسفة والإنسانيات والعلوم الإجتماعية ، العدد(5) ، 2011

٨. جوتفريد فيلهلم ليبنتز : المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ، نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها : عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة للطبع والنشر ، القاهرة ، 1978 حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة (٣) : العَدل , مؤسسة هنداوي , 1988 .

٩. سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شرف , ط 1 , منشورات الشريف الرضي , ١٩٨٩ .

١٠. طه حسين : بين المعتزلة وليبنتز , ترجمة وتقديم عبد الرشيد محمودي , جريده الأهرام , 29 أكتوبر 2014 .

١١. عبد الحكيم بن يوسف الخليفي : مشكله الشر عند قدماء المعتزلة , مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر , العدد (15) , 1997 .

١٢. عبد الله بن حمد الركف : الحكمة من وجود الشر , مجلة الدراسات العربية جامعة المنيا , المجلد (44) , العدد (5) , يونيو , 2021 .

١٣. عزة سيد عزوز محمد : الثيوديسيا فى فلسفة ليبنتز دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الإسلامي ، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية ، جامعة طنطا ، المجلد (١٢) العدد (١٢) ، ٢٠٢٠

١٤. عصام السيد محمود عبد الرحيم : اللطف الإلهي عند المعتزلة عرض ونقد , مجلة الدراسات العقدية , المملكة العربية السعودية , بدون تاريخ .

١٥. القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة , بدون تاريخ .

١٦. القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة , تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم , تحقيق عبد الكريم عثمان , مكتبة وهبه , القاهرة , 1965

١٧. قمر مفتاح الرويمي : التعريف اللغوي والتطور التاريخي لمشكلة الشر أوغسطين وليبنتز نموذجا , مجلة الجامعة الأسمرية , المجلد 27 , ديسمبر 2016

١٨. محمد السيد الجليند : قضية الخير والشر عند مفكر الإسلام ؛ أصولها النظرية وجوانبها الميتافيزيقية آثارها التطبيقية دراسة علمية لمسؤولية الإنسان في الإسلام , دار قباء الحديثة , القاهرة , 2010 .

١٩. محمد بو هلال : معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة , مجلة مدارات فلسفية , العدد (13) المغرب , 2006 .

٢٠. محمود حمدي زقزوق : علم المقارنات الفلسفية رؤية مستقبلية , مجلة الأزهر , يصدرها مجمع البحوث الإسلامية , القاهرة , 2017 .